تحليل المضمون القرآني
- وصية لقمان أنموذجا -

د. لمياء مرتاض - نفوسي
شعبة علوم الإعلام والاتصال - جامعة مستغانم

ملخص:

يُعتبر القصص القرآني من الأساليب التربوية التي تصبو إلى تربية النشء عبر غرضي الموعظة والإرشاد، وذلك بالعودة إلى القرآن الكريم بما يحويه من دروس يُهتدى بها.

ولهذا الغرض، قمت بتوظيف تقنية تحليل المحتوى لتحليل قصة لقمان المتضمنة لمجموعة من الوصايا التي وجهها لابنه بغية توجيهه إلى انتهاج سلوك تربوي سليم، بتحديد نسق من القيم يترجم علاقته مع الخالق ونسيج من العلاقات الاجتماعية تتحدد من خلالها مجموعة من الواجبات مع الآخرين.

وقد استخدمت لهذا الشأن مجموعة من الفئات المتمثلة في: الموضوع، الأهداف، القيم وأساليب تحقيق الأهداف. والهدف من هذه الدراسة هو اقتراح نموذج تربوي للمربين يصلح لكل زمان وفي كل مكان.

Abstract:

This study aims to undrestand coranic stories, and to analyse Lokman story represented in commands and to discover how he convinced his son.

At the beginning, we identified four categories: the subject, the values, the aims and the means of persuasion.

Thi study aims to identify a model behavior with god and with the others for establishing social relations based on the set of values.

We concluded this research by suggesting this story as an educational model for our children.

مقدمة:

تعددت المدارس والمناهج التربوية في العالم الغربي لتحدد طرقا تربوية تكون أفرادا يصلحون لبناء مجتمع سوي يعمه الصلاح والخير. ونجد أنفسنا في العالم الإسلامي متبنين القيم المتضمنة في هذه المناهج التربوية وكأنه ليست لنا مصادر ولا علماء فكروا في مسألة تربية سليمة للمسلمين. في حين نجد المنهج التربوي السليم متجذرا في القرآن عبر القصص القرآني كوسيلة مثلى من وسائل التربية التي تدعو لإتباع خطى الصالحين والابتعاد عن سُبُل الانحراف والشر.

للقصص القرآني أهمية كبرى في تربية النشء؛ حيث يعرفنا بسلوك السابقين من الرسل والأنبياء والصالحين وغيرهم لنعتبر بهم، امتثالا لقوله تعالى: ﴿**لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ**[1]﴾.

ويهدف القصص القرآني إلى "تثبيت فؤاد النبي ﷺ وتخفيف ما أصابه من أذى قومه"[2].

كما يهدف إلى الاعتبار وأخذ الموعظة مما يُقص؛ لأن المرء يستنبط الدروس منه منبها إياه من غفلته وابتعاده عن الطريق السليم، كما أنه يؤدي دورا تربويا بسرده قصصا لأمم غابرة ابتعدت عن الإيمان بالله والصلاح والحق وخاضت في بحر الشر والغفلة والانحراف. فتذكرنا هذه القصص بضرورة الاقتداء بسنة الرسول ﷺ وإتباع هداه وهدى الصالحين.

أولا: أهمية تحليل المضمون لتحليل الرسائل الاتصالية:

اعتمدت على تقنية تحليل المضمون لتحليل وصية لقمان التي تندرج ضمن القصص القرآني؛ حيث يعتبر هذا الأخير رسالة اتصالية يمكن إدراك معانيها من خلال استخدام تقنية تحليل المضمون. هذه الأخيرة هي من الأدوات الأكثر استخداما عند مقاربة الظاهرة الاتصالية. فعلى الباحث أن يضاعف الجهد عند تحليل الظاهرة المدروسة لاستخراج الأهداف الخفية للرسائل (messages) ودلالتها ومعانيها الضمنية التي لا تستخرج من القراءة المباشرة لها، فكما يقول أحمد أوزي هي "قراءة من درجة ثانية"، بمعنى أنه على الباحث أن يكتشف ما هو خفي، أي ما هو كامن في الخطاب، وتحليل ما هو غامض حتى يتمكن من التفسير والاستدلال. وبذلك يتمثل الدور الأساس لتحليل المضمون في وصف خصائص مضمون النص، "ويتوسع مفهوم النص إلى الراديو، المجلة، مقالة صحفية، نصوص رسمية... وكذلك المضمون السمعي البصري كالحصص التلفزيونية"[3].

لكن تحليل مضمون النصوص لا يقتصر فقط على وصفها، بل يتعدى ذلك إلى اكتشاف بنيتها وكل عناصر الرسالة حيث تتفاعل فيما بينها لتعطي معنى ودلالة للمادة المدروسة. ويذهب إلى أبعد من ذلك، إذ أن استخدامه يمكّن الباحث من تحليل عناصر الرسالة وبنائها وعلاقتها مع السياق الثقافي والاجتماعي الذي نشرت فيه. فالوصول إلى المعاني الخفية التي تحملها الرسالة مرتبط بسياقها العام، وهذا ما يسمى بظروف الإنتاج. ترتبط هذه الأخيرة "بعوامل مختلفة ذات طابع سيكولوجي، سوسيولوجي، سياسي، بيداغوجي...إلخ"[4]. ولا يمكن تحديد عناصر الرسالة ومضمونها وأهدافها الضمنية للوهلة الأولى، إذ يؤكد إميل دوركايم ودي سوسور على أن "المعنى الواضح لأي نص من النصوص لا يتأتّى من القراءة الأولى والمباشرة له، وإنما لا بد من تنظيم جديد للمادة المقروءة، بكيفية تسمح بالوصول إلى المعنى المقصود"[5].

إن تحليل المحتوى للوثيقة أو النص يكون على مستويين اثنين:

المستوى الأول هو "تحليل المحتوى الظاهري للوثيقة (...)، أما المستوى الثاني فيتمثل في تحليل المحتوى المستتر للوثيقة"[6].

فيتمثل المستوى الأول في تحليل ما هو معلن عنه بشكل واضح أي ما تتضمنه الوثيقة أو الرسالة حقيقة، كتحليل المحتوى الظاهري لبرنامج حزب سياسي الذي يتضمن استخراج المواضيع الأكثر تناولا.

أما المستوى الثاني فهو تحليل المحتوى الخفي للوثيقة أو النص، بمعنى استخراج المحتوى غير الظاهر، أي كل ما لم يتم التعبير عنه بشكل واضح في الوثيقة، فيمكن من خلال تحليل المحتوى المستتر لبرنامج حزب سياسي مثلا الكشف عما هو غير معلن عنه واستخراج المعاني الخفية الكامنة فيه من توجهات وتحالفات ورهانات. كما تبرز القيم غير المعلنة المستخرجة من المواقف وتصريحات القائم بالاتصال.

ويتم تحليل المحتوى على عدة مستويات:

1-على مستوى اللغة المكتوبة؛ كتحليل محتوى مذكرات، صحف، ملصقات.

2-على مستوى اللغة الشفوية؛ كتحليل خطب، برامج تلفزيونية.

3-على مستوى اللغة الموازية (para-langage)؛ وهي لغة لا منطوقة ولا مكتوبة، حيث يتم من خلالها تحليل الحركات، الميم، اللباس... وبالتالي، فقد توسعت مجالات تحليل المحتوى وظهرت حاجة ملحة إلى تحليل مجالات جديدة لم يُبحث

فيها من قبل. ومن بين هذه المجالات مجال القصص القرآني الذي تقل الدراسات فيه.

ثانيا: أهمية القصص القرآني:

يُعتبر مجال القصص القرآني حقلا خصبا وغنيا بما يحمله من دلالات ومعان صاغها القرآن في قالب وصفي ودال. فقصص القرآن "وسيلة من وسائل تربية الأجيال، من خلال كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، تعمل على تربية النفس، وتقويم السلوك وغرس القيم، وتنبيه الغافلين"[7].

كما أن من أهدافه:

- "تنبيه الإنسان من الغفلة والرقود وإبعاده عن مهاوي الانحراف والسقوط.
- التحذير من أخطار البعد عن الاستقامة والصلاح والحق.
- تصويب مناهج الآداب والسلوك والدفع إلى الحياة الإيجابية.
- تصحيح العقيدة وغرس بذور الإيمان بالله.
- تربية النفس وتقويم السلوك وغرس الشعور الفياض بالإيمان المتوقد بمشاعر الود والخير.
- التذكير بأحداث الأمم الغابرة"[8].

وقد جاء في القرآن الكريم ما يلي: ﴿**لَقد كَانَ في قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الأَلبَاب**﴾[9].

يتضح لنا من خلال هذه الآية القرآنية الهدف الجلي من القصص القرآني، المتمثل في الدروس التي يجب استخلاصها عند الاستماع لهذه القصص، كأمثلة يجب الأخذ بها ونماذج للسلوك الإنساني التي يجب أن تمتثل للعقل والتبصر. وهي بذلك إحدى الأساليب التربوية التي تدخل في إطار عملية التنشئة الاجتماعية (socialization) التي تُعد ركيزة العلاقات الاجتماعية حيث تُعتَبَر "صيرورة يدمج من خلالها الأفراد معايير، شفرات للسلوك، ثقافة المجتمع الذي يعيشون فيه"[10]. تبدأ هذه الصيرورة منذ الصغر وتستمر مدى الحياة، حيث "سيطوّر من خلالها الأطفال وعيا بالمعايير والقيم الاجتماعية، ويكوّنون إحساسا مميزا بالذات"[11].

فالهدف من ذلك هو إدماج نسق القيم الخاص بالمجتمع الذي ينتمي إليه هؤلاء الأطفال كجزء من ثقافته بما فيها الدين. ومن القصص القرآنية التي شدت انتباهنا نعرض قصة لقمان التي هي عبارة عن وصية تركها لابنه لتوجّهه في حياته بما تحويها من قيم (values) سامية.

ثالثا: تحليل وصايا لقمان:

تحوي هذه القصة مجموعة من الوصايا وردت في سورة لقمان. والجدير بالإشارة إليه أن لقمان كان معروفا بحكمته إلى درجة أنه كان يُلَقَب بلقمان الحكيم. لذلك، فوصيته لابنه تعكس مجموعة من القيم التي تنمّ عن فطنته وحكمته التي استقاها من تجاربه المتمثلة في نسق قيم مميَّز، حيث تحتل في هذا النسق "كل قيمة أولوية خاصة بالقياس إلى القيم الأخرى"[12]. فما يتصدر ينم عن قيمة أكبر مما يأتي في المركز الموالي، وهكذا دواليك. كما لتحديد الموقع أهمية كبرى؛ فهو يعكس "قيمة المواضيع أو الاتجاهات ويحدد مراكز الاهتمام بهذه المواضيع أو ترتيب الاهتمام بها"[13]. وعلى هذا الأساس، سنقوم بتحليل محتوى قصة لقمان بناء على تحديد الفئات (catégories) التالية: الموضوع، الأهداف، القيم وأساليب الإقناع.

أ - فئة الموضوع:

وهي الفئة الأكثر استخداما في دراسات تحليل المضمون والتي "تقوم بتصنيفه وفقا لموضوعاته، وتجيب عن التساؤل الأساس الخاص بالموضوع أو مجموعة الموضوعات التي تدور حولها المادة"[14]. بل وهي بشكل حصري الفئة التي لا يمكن الاستغناء عن تحديدها قبل الشروع في تحديد الفئات الأخرى.

تخص فئة الموضوع المتعلقة بدراستنا قصة لقمان وهو يدعو ابنه للاستماع إليه من خلال توجيهه لمجموعة من الوصايا، وذلك في سورة لقمان من الآية 13 إلى غاية الآية 19.

ب - فئة الأهداف:

أي الغرض من قصة لقمان، والمتمثل أساسا في غرضي التربية والموعظة من أجل توجيه ابنه إلى القيم التي يود إيصالها إليه، مسطرا له المنهاج الذي يجب أن يتبناه في حياته للنجاح فيها والفوز بمرضاة الله والتعايش في سلام مع الأفراد الآخرين، كما يدعوه للاستشعار المستمر لوجود الله الذي يراقبه والذي سيحاسبه يوم القيامة.

ج - فئة القيم:

تحديد هذه الفئة يمكننا من تحديد "القيم السائدة في المجتمعات أو لدى الأفراد"[15].

والقيمة في اللغة هي "ثمن الشيء بالتقويم؛ وهي الاستقامة، أي اعتدال الشيء واستواؤه"[16].

تخضع القيم حسب موقعها في سورة لقمان وحسب ترتيبها إلى سلم ترتيبي يمثل نسقا قيميا مميزا يخضع لبناء خاص بنى قواعده لقمان محددا مستوياته. جاءت قصة لقمان المسرودة في سورة لقمان كمجموعة وصايا يوجهها لابنه، بغية إرشاده وتوجيهه إلى تحديد علاقته مع الخالق من جهة، وتحديد علاقاته الاجتماعية من جهة أخرى. نستخرج من خلال هذه القصة مجموعة من القيم التي جاءت في شكل وصايا متكونة من النقاط التالية:

1- عدم الشرك بالله:

فأول وصية جاءت في الآية التالية: ﴿**يَا بُنَيَّ لاَ تُشْرِكْ بِاللَّه**﴾ [17].

وذلك منطقي، إذ أن الله يمكن أن يغفر كل ذنوب المرء إلا الشرك الذي يُعتبَر من أكبر الكبائر. فالبدء بتقديم هذه الوصية قبل الوصايا الأخرى راجع إلى طبيعة الإثم الذي ينجرّ عن الشرك بالله ودرجة العقاب الناتج عنه. فالإيمان بالله وبوحدانيته أول أركان الإسلام، ثمّ تليه الأركان الأخرى.

2- بر الوالدين:

تأتي في المقام الثاني الوصية بالوالدين اللذَيْن سهرا وتعبا في تربية ابنهما ووجوب شكرهما والإحسان إليهما. وفي حالة ما إذا دعواه إلى الشرك بالله فإنه لا يجوز له أن يتبع ما يدعوانه إليه.

غير أنه لا شيء يمنعه من مصاحبتهما بالمعروف في هذه الحالة ومواصلة الإحسان إليهما.

3- عدم الظلم أو الخطيئة:

تأتي هذه القيمة في المقام الثالث حيث يُمثل أصغر عمل بمقدار حبة الخردل التي بالرغم من صغرها فإن الله سبحانه وتعالى يحضرها يوم الحساب، فيُكافئ المرء حسب طبيعتها: إن كان عملا صالحا، أو عملا فيه شر.

4- إقامة الصلاة:

ثاني وصية جاءت كما يلي: ﴿**يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاَةَ**﴾ [18]. الصلاة عماد الدين، كما أنها الركن الثاني من أركان الإسلام. وجاء في هذه الآية الكريمة أنه يجب تأديتها "بجميع واجباتها من حدودها وأوقاتها وركوعها وسجودها وطمأنينتها وخشوعها وما شرع فيها"[19].

لهذه الأسباب، جاءت هذه الوصية المتعلقة بإقامة الصلاة في هذا الموقع.

5- الأمر بالمعروف:

تتمثل الوصية الثالثة في حثّ لقمان ابنه على الأمر بالمعروف: ﴿**وَأْمُرْ بِالمَعْرُوف**﴾. وهذا بديهي، إذ أن الصلاة [الوصية السالفة] يجب أن ينجرّ عنها الأمر بالمعروف. غير أن لقمان يطالب ابنه بذلك ولكن "بجهدك وطاقتك"[20]، أي حسب ما لديه من إمكانيات وطاقة.

6- النهي عن المنكر:

تتجلى الوصية الرابعة بدعوة لقمان ابنه إلى النهي عن المنكر: ﴿**وَانْهَ عَنِ المُنْكَرِ**﴾، أي عن كل أمر بغيض لا يتماشى وصفات المؤمن التّقيّ، وذلك دائما حسب طاقته.

7- الصبر:

تتمثل الوصية الخامسة في حثّ لقمان ابنه على الصبر: ﴿**وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ**﴾، الذي يُعتَبَر من الصفات المحبذة لدى المسلم، إذ علم لقمان أن "الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر في مظنة أن يُعادى ويُنال منه ولكن له العاقبة، ولهذا أمره بالصبر على ذلك"[21].

كما نجد من أسماء الله الحسنى اسم "الصبور"، فكيف يكون الله صبورا على ما يرتكبه العباد من ذنوب ولا نصبر نحن على بعض الأمور؟

8- عدم التكبر:

كما يدعو لقمان ابنه إلى عدم التكبر على الناس والتواضع في تعامله معهم وعدم التعالي عليهم وعدم احتقارهم بقوله: ﴿**وَلاَ تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاس**﴾[22]. "والصعر داء يصيب الإبل فيلوي أعناقها. والأسلوب القرآني يختار هذا التعبير للتنفير من الحركة المشابهة للصعر، حركة الكبر والازورار"[23].

فهو "يدعوه إلى ألا يُميل وجهه عنهم متكبرا"[24].

9- عدم المشي بمرح:

وقوله دائما في الآية 18 من سورة لقمان: ﴿**وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَال فَخُور**﴾، فهو يطالب ابنه بعدم "التبختر في المشية على وجه العظمة والفخر على الناس"[25]، معجبا بنفسه إلى درجة النرجسية.

10- القصد في المشي:

ثم قوله في الآية 19 من سورة لقمان: ﴿**وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ**﴾، أي "لا تتباطأ مفرطا ولا تسرع إسراعا مفرطا، ولكن بين ذلك قوام"[26]، بمعنى المشي بشكل معتدل لا يجلب الأنظار.

11- خفض الصوت:

وقوله: (وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ)، أي"إذا تكلمت لا تتكلف رفع صوتك فإن أرفع الأصوات وأنكرها صوت الحمير... والغض من الصوت فيه أدب وثقة بالنفس واطمئنان إلى صدق الحديث وقوته. وما يزعق أو يغلظ في الخطاب إلا سيّء الأدب أو شاك في قيمة قوله أو قيمة شخصه يحاول إخفاء هذا الشك بالحدة والغلظة والزعاق".[27]

بمعنى، تخص هذه القيمة تعليم لقمان ابنه آداب الحديث و كيفية الكلام.

إن للقيمة مكانة كبرى في الدين، وهي تخص كل ما يسمو، وباعتبار القرآن كتاب الله، فإنه بالتأكيد يعكس قيما سامية ثابتة، والتي يعتبرها عبد الرحمن عزي "بمثابة الطاقة المعنوية الروحية الدافعة"[28] نحو سلوك مثالي.

وتتجلى عن ذلك مجموعتان اثنتان من القيم:

1- المجموعة الأولى هي قيم روحانية تتفرع إلى موضوعين اثنين:

- عدم الشرك بالله - والأمر بالصلاة.

2- المجموعة الثانية هي قيم تربط ابن لقمان بالآخرين، في شبكة تواصلية دائمة، تنجر عنها علاقات اجتماعية مبنية على الاحترام، التواضع، بشكل عام على الأخلاق السامية. وقد جاءت كما يلي:

بر الوالدين، عدم الظلم، الأمر بالمعروف، النهي عن المنكر، الصبر، التواضع، عدم المشي بمرح، القصد في المشي وخفض الصوت.

المجموعة الأولى هي قيم روحانية يقوم بصياغتها لقمان لابنه لتتحدد علاقته مع الخالق.

أما المجموعة الثانية فهي قيم اجتماعية متعلقة بمعاملة الآخرين، لخلق نسيج من العلاقات الاجتماعية المبنية على قيم سامية، تتحدد من خلالها الاتجاهات فالسلوكات.

وعلى هذا الأساس، الذي يضع تسلسلا تراتبيا لنسق القيم يتم "التنظيم العام لقيم الفرد، والذي من خلاله تتحدد أهمية كل قيمة من هذه القيم، وكيف تنتظم، وما هي علاقة كل منها بالأخرى."[29]

وبالفعل، يبدو من خلال هذه الوصايا أن القيم المحتواة فيها تخضع لنظام تراتبي، تتضح من خلاله مكانة كل قيمة وأهميتها، كيف ذلك؟

فيما يخص القيم الروحانية، فقد استهل لقمان حديثه بتوصية ابنه بعدم الشرك، موضحا عواقب هذا الفعل، بأنه يظلم نفسه إن أشرك بالله. ثم حثه على الصلاة، كركن ثان للإسلام.

أما فيما يخص القيم الاجتماعية، فهي بدورها جاءت مرتبة في بناء تراتبي منطقي بعلاقة مع المجموعة الأولى، إذ كل قيمة لاحقة تكون نتاج قيمة سابقة. فالصلاة تنهى عن المنكر، كما أن القصد في المشي نتاج عدم المشي في الأرض بمرح، الذي هو بدوره نتاج عدم التكبر. وهكذا، هذا التنظيم التراتبي للقيم يعكس منطقا عقلانيا تنتظم من خلاله العلاقات الاجتماعية والعلاقة مع الخالق. وإذا ما قارنا عدد القيم الاجتماعية المتمثلة في سبع مقارنة بالقيم الروحانية المتمثلة في اثنتين فقط، يبدو أن لقمان يؤكد وهو يوصي ابنه على القيم الاجتماعية نظرا لعدد الأضرار التي يمكن أن تنتج من جرآء الخلل الذي يحدث عند عدم التمثل لإحداها. هذه القيم موجودة في النص القرآني، وهي بذلك ثابتة، فهي صالحة ويمكن تطبيقها في أي مكان وزمان، و"تسهم في إعطاء نوع من التماسك لمجموع القواعد والنماذج الثقافية في مجتمع معين، والتي إذا أُخذت منفصلة، سوف يكون من الصعب إيجاد تفسيرات لها."[30]

ونتساءل هنا: ما هي الأساليب التي استخدمها لقمان للتأثير على ابنه؟

د - فنة أساليب الإقناع:

أساليب الإقناع أو طرق تحقيق الأهداف هي "ما يقترحه المؤلف من طرق عمل لبلوغ هذه القيمة أو تلك".[31]

وتتمثل طرق تحقيق الأهداف المسطرة في هذه الوصية في أسلوب الإقناع، من بدايته إلى نهايته، مستهلا كلامه في كل مرة بلفظ: "يا بني" مع تكرار استخدامه ثلاث مرات لجلب انتباهه في كل مرة وجرّه إلى الاستماع.

وكلمة "بني" في اللغة العربية لها دلالة خاصة، إذ تدل على"تصغير كلمة ابن"[32]، لتليين قلب الأخير. وقد تم توظيفها في ثلاثة سياقات. المرة الأولى عند

دعوة لقمان ابنه إلى عدم الشرك بالله. في المرة الثانية عند دعوته إلى عدم الظلم. وفي الأخير، عند دعوته إلى الصلاة، الأمر بالمعروف، النهي عن المنكر والصبر.

وباعتبار الوصية رسالة فهي تندرج ضمن الاتصال الحجاجي الذي هو "ذلك الاتصال الذي يهدف إلى إقناع المتلقي بأهمية وصحة رسالة المرسل باستعمال حجج بيّنة تضمن هذا الغرض."[33]

ويمكن تطبيق هذه الصيرورة على مثلث Philippe BRETON [34] كما يلي:

خطاطة الاتصال الإقناعي

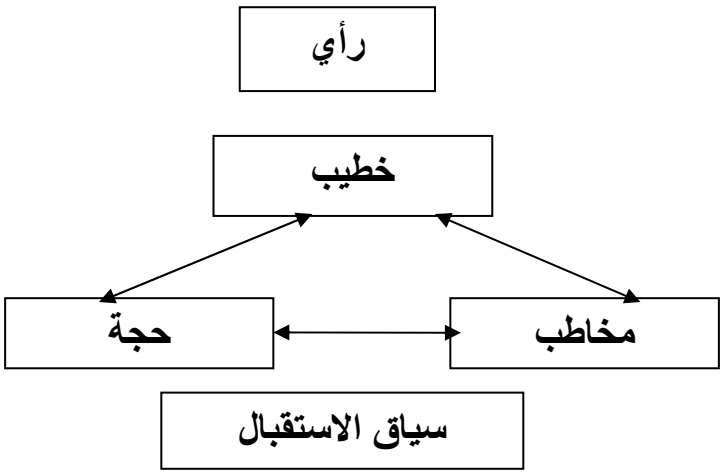

فالخطيب (Orateur) وهنا لقمان ، له رأي (Opinion) يود عرضه من خلال مجموعة من الحجج (Arguments) للمخاطَب (Auditoire) وهنا تحديدا إلى ابنه، بغية استمالة رأيه لما يصبو إليه في سياق استقبال (Contexte de réception) مميّز.

وعليه، تندرج هذه الوصية ضمن الاتصال الحجاجي الذي هو "ذاك الاتصال الذي يهدف إلى إقناع المتلقي بأهمية و صحة رسالة المرسل باستعمال حجج بيّنة تضمن هذا الغرض."[35]

إذا، تتوفر في هذه الوصية باعتبارها اتصالا إقناعيا عناصر العملية الاتصالية: مُرسِل وهو لقمان الذي يخطب في ابنه مرسلا بذلك رسالة - المستقبِل الذي يتلقى تلك الرسالة ويتعلق الأمر هنا بابنه - الرسالة في حد ذاتها أي ماهية

مضمون الوصية - الوسائل التي استخدمت فيها بغرض إقناع الابن بفحواها، بتحديد مجموع الطرق والحجج التي استعملها لقمان للتأثير على ابنه.

وهنا، يظهر العنصر القوي في الوصية، "يتعلق الأمر بالرأي المهيأ للإقناع والمندسّ في استدلال حجاجي."[36] أي ما هي الحجج وأساليب الإقناع التي تستخدم من طرف لقمان للإقناع والتأثير على ابنه؟

توجد عدة تقنيات للإقناع:

- "الإقناع عن طريق تقديم صورة حسنة عن الذات وتُدعى: Ethos

- الإقناع عن طريق التأثير على عواطف وأحاسيس المتلقي وتُدعى استمالة النفوس: Pathos

- وأخيرا استهداف عقل المخاطب وتفكيره عن طريق الحجج والبراهين: Logos"[37]

يمكن أن تطبق التقنيتان الأخيرتان على الوصايا التسع، حيث قام من خلالها لقمان باستمالة رأي ابنه والتأثير على أحاسيسه، وكذلك استهداف عقله بعرض نسق منظم من الحجج والأدلة التي تستهدف إقناعه. وهو يوصي ابنه، كان يناديه بـ"يا بني" ويكررها في كل مرة وذلك لاستثارة أحاسيسه ولاستمالته إلى ما يريد. وكلما كان يعرض عليه وصية، إلا وأتبعها بمجموعة من الحجج والبراهين. فعندما أوصاه بعدم الشرك، علل ذلك بحجة قاطعة ألا وهي أن ذلك الأمر "ظلم كبير"، أي أن الشرك "أعظم الظلم".[38] ثم لما أوصاه بالصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقد علل بأن "ذلك من عزم الأمور"، أي التي "لا بد منها ولا محيد عنها."[39] وعندما طلب منه ألا يتكبر على الناس، فقد علل ذلك بأن الله لا يحب المتعالين و"لا يحب من يمشي في الأرض في نفخة وقلة مبالاة بالناس".[40]

وفي الأخير، وهو يوصيه بالقصد في المشي وخفض الصوت، عرض عليه حجة أن مثل هذا التصرف إنما يدعو إلى "الهزء والسخرية مع النفور والبشاعة"[41]، عندما صور القرآن هذه الصورة بقوله: (إِنَّ أَنْكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الحَمِيرِ).[42]

ويمكن تجميع الفئات التي اعتمدنا عليها في دراستنا في الجدول الموالي:

جدول 1: الفئات المستخدمة لتحليل وصية لقمان

الموضوع	الهدف	القيم	أساليب الإقناع
وصايا لقمان لابنه	الموعظة من أجل توجيه ابنه إلى القيم التي يود إيصالها إليه	عدم الشرك بالله - إقامة الصلاة - بر الوالدين - عدم الظلم - الأمر بالمعروف - النهي عن المنكر - الصبر - عدم التكبر - عدم المشي بمرح - القصد في المشي - خفض الصوت	- التأثير على أحاسيس المتلقي واستهداف عقل المخاطب عن طريق تقديم مجموعة من الحجج - تليين قلبه بلفظ: "يا بني" مع تكراره

خاتمة:

كانت هذه الدراسة تحليلا لقصة لقمان، انصبت على تحديد محتوى الوصية التي وجهها لابنه، راميا من خلالها إلى تنشئته تنشئة سليمة، بتوجيهه إلى نسق قيمي التي ستكون منهج حياته ونموذجا لسلوكه.

فقد رمى لقمان من خلال وصيته إلى توجيه ابنه إلى الطريق التي يجب أن يسلكها لتوجه أفكاره، اتجاهاته وسلوكه. أما عن النسق القيمي المتضمن في هذه الوصية، فهو يشمل عدة قيم سامية جاءت في سلم تراتبي لم يُعرض بشكل اعتباطي. فما يتصدر ينم عن قيمة أكبر مما يأتي في المركز الموالي، وهكذا دواليك. لذلك، نجد بأن أول قيمة طولب ابن لقمان بأن يمتثل لها هي عدم الشرك بالله. وبالفعل، يمكن أن تُغفر كل الذنوب إلا الشرك بالله. ثم يأتي في المقام الثاني بر الوالدين، ثم قيمة عدم الظلم، فقيمة إقامة الصلاة التي تُعتبر عماد الدين. ثم تأتي مجموعة من القيم والمتمثلة في: الأمر بالمعروف، النهي عن المنكر، الصبر، عدم التكبر، عدم المشي بمرح، القصد في المشي وخفض الصوت.

وبالتالي هناك قيمتان اثنتان تُعتبران قيمتان للسلوك تخصّان علاقة العبد بالخالق ألا وهما عدم الشرك بالله والصلاة. أما القيم الأخرى فتترجَم إلى سلوكات بين الأفراد.

أما عن أساليب الإقناع فقد تباينت بين تقنيتي: التأثير على أحاسيس المتلقي، واستهداف عقل المخاطب عن طريق تقديم مجموعة من الحجج، وذلك من خلال

إعطاء توجيهات وتحديد عاقبة من لا يمتثل لهذه القواعد. أضف إلى ذلك استعمال لفظ: "يا بني" لتليين قلب ابن لقمان مع تكرار هذا اللفظ حتى يترك الأثر المرجوّ.

في أيامنا هذه، وفي خضم وسائل الإعلام والاتصال سيما الجديدة منها التي أضحت بديلا عن التربية الأسرية، يتلقن من خلالها الأفراد ولاسيما الأطفال قيما جديدة لا تتماشى في غالبية الأحيان مع القيم الدينية، ما أحوجنا إلى التقعيد لأسس تربوية مستَلْهَمَة من النص القرآني والسنة الشريفة.

تُعتبر هذه الوصايا التي وجّهها لقمان إلى ابنه منظومة قيم سامية صالحة لكل زمان وكل مكان، يمكن تطبيقها في وقتنا الحالي، تمكّن المربّين سواء أكانوا أولياء أو مدرسين من تنشئة جيل على أساس قيم دينية، توجه سلوكاته مع الآخرين وتحدد علاقته مع الخالق.

الهوامش:

[1]- سورة يوسف، الآية 111.

[2]- ابن كثير، قصص القرآن، جمع وترتيب السعيد صلاح الدين محمود، مصر، دار الغد الجديد، 2008، ص6.

[3]- لارامي أ، فالي ب، ترجمة سفاري ميلود و آخرون: البحث في الاتصال، عناصر منهجية، مخبر علم الاجتماع، جامعة منتوري، قسنطينة، 2004 ، ص243.

[4]- نفس المرجع السابق، ص244.

[5]- Bardin Laurence , L'analyse de contenu, Paris, PUF, 1977, p9.
في: أوزي أحمد، تحليل المضمون و منهجية البحث ، كلية علوم التربية ، جامعة محمد الخامس ، المغرب، 1993، ص14.

[6]- أنجرس موريس ، منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية ، ترجمة صحراوي ، بوزيد وآخرون، دار القصبة، الجزائر ، 2004 ، ص218.

[7]- التهامي نصر، 17 قصة من القرآن الكريم، الجزائر، دار المجدد للنشر والتوزيع، 2011، ص7-8.

[8]- ابن كثير، مصدر سبق ذكره، ص7.

[9]- سورة يوسف، الآية 111

[10]-Dortier Jean-François, Les sciences humaines, France, Sciences Humaines Editions, 1998, p.306

[11]- غدنز أنتوني، علم الاجتماع، ترجمة: فايز الصياغ، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2005، ص744.

[12]- عماد عبد الغني، سوسيولوجيا الثقافة، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2006، ص146.

[13]- عبد الحميد محمد، البحث العلمي في الدراسات الإعلامية، القاهرة، عالم الكتب، الطبعة الثانية، 2004، ص236.

[14]- حسين سمير، دراسات في مناهج البحث العلمي، القاهرة، عالم الكتب، 2006، ص265.

[15]- عبد الحميد محمد، مرجع سبق ذكره، ص 232.

[16]- ابن منظور، لسان العرب، المجلد 16، بيروت، دار صادر، 1990، ص.590
[17]- سورة لقمان، الآية 13
[18]- سورة لقمان، الآية 14
[19]- ابن كثير، قصص القرآن، جمع وترتيب: السعيد صلاح الدين محمود، مرجع سبق ذكره، ص 96-97.
[20]- نفس المصدر السابق، ص97.
[21]- نفس المصدر السابق
[22]- سورة لقمان، الآية 18
[23]- سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، 1978، 2790/5 في: ابن كثير، مصدر سبق ذكره
[24]- جلال الدين محمد أحمد المحلي، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تفسير الجلالين، لبنان، دار الفكر، 1987، ص438.
[25]- ابن كثير، مصدر سبق ذكره
[26]- نفس المصدر السابق، ص98.
[27]- نفس المصدر السابق، ص99.
[28]- حوارات أكاديمية حول نظرية الحتمية القيمية في الإعلام، الجزائر، دار ورسم للنشر والتوزيع، 2010، ص14.
[29]- عماد عبد الغني، مرجع سبق ذكره، ص147.
[30]- نفس المرجع السابق، ص151.
[31]- أنجرس موريس، مرجع سبق ذكره، ص278.
[32]- ابن منظور، مصدر سبق ذكره، مجلد 14
[33]- برقان محمد، الخطاب الحجاجي والاتصال، كتابات معاصرة، العدد 58، 2005، ص24.
[34]- Breton Philippe, L'argumentation dans la communication, Alger, Edition Casbah, 1998, p.19
[35]- برقان محمد، مرجع سبق ذكره
[36]- نفس المرجع السابق، ص25.
[37]- برقان محمد، الاتصال الإقناعي في فن الخطابة، كتابات معاصرة، العدد 61، 2006، ص24.
[38]- ابن كثير، مصدر سبق ذكره، ص92.
[39]- نفس المصدر السابق، ص97.
[40]- نفس المصدر السابق، ص98.
[41]- نفس المصدر السابق، ص99.
[42]- سورة لقمان، الآية 19